أولو الألباب في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

د . خالد بن عون العنزي

قسم الدراسات القرآنية ومسار القراءات - جامعة طيبة

مقدمـــة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"(١).

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(٢).

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا "(٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠، ٧١.

أما بعد :

فإن القرآن الكريم بحر العلوم، ومعدن الحكمة، ومنبع المعرفة، والمسلم مأمور بتدبره، قال تعالى:

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"[1].

ولقد شاءت إرادة الله – تعالى – أن تكون معجزات الرسل – صلى الله عليهم وسلم – أنواعاً؛ فكانت المعجزات قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مادية محسوسة محصورة في مكانها وزمانها وأشخاصها – أشخاص من شاهدوها – فلا حياة لها من غير اللحظة التي ظهرت فيها.

أما المعجزة القرآنية فهي نوع آخر من المعجزات، مختلف عما سبقه، فهو شيء قائم بذاته، ثابت باق، لا يدرك خرقه المعادة بالحس، بل بالنظر العقلي والدراسة والفحص؛ إذ أنه معجزة عقلية مناسبة للرسالة الخاتمة، ومتمشية مع ما تتطلبه الدعوة الإسلامية من دوام وصلاحية لكل زمان ومكان.

ولقد جاء خطاب القرآن الكريم موجهاً للعقل، ونهج في ذلك منهجا أساسه وقوامه النظر العقلي والتدبر والتبصر وإعمال الفكر، ومن مستلزماته ترك الجمود وذم الهوى واجتناب الظن.

- ولأثنى الله – عز وجل – في كتابه على أصحاب العقول الحكيمة وسماهم بأولي الألباب مدحاً لهم وثناءً عليهم ، فكان ذلك دافعاً لي إلى كتابة بحث حول هؤلاء الصفوة ، سميته "أولو الألباب في القرآن الكريم " .

---

(١) سورة محمد الآية: ٢٤.

- **أهمية البحث :**

وتكمن في عدة أمور أهمها :

١- بيان صفات أولي الألباب في القرآن الكريم والتي من أجلها نالوا هذه المكانة وتبوأوا تلك المنزلة ، حتى يقتدي بهم المقتدون ، ويسير على آثارهم السائرون .

٢- بيان علو شأن هؤلاء القوم ، ورفعة منزلتهم من خلال بيان احتفاء القرآن الكريم بهم ، وإشادته بخلالهم ، ومدحه لأفعالهم .

٣- بيان العاقبة الحميدة والمآل الحسن لأولي الألباب جزاء ما قدموا من أعمال .

- **خطة البحث :**

جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ثم الخاتمة.

* أما المقدمة، فذكرت فيها أهمية البحث وخطته.
* وأما التمهيد، فيشتمل على: مواضع ذكر أولي الألباب في القرآن الكريم.
* وأما المبحث الأول فهو بعنوان: "المراد بأولي الألباب"، وقد اشتمل على:
  - المطلب الأول: المراد بأولي الألباب في القرآن الكريم.
  - المطلب الثاني: أصل اللب والاختلاف في اللباب.
  - المطلب الثالث: الفرق بين اللب ومرادفاته.
* وأما المبحث الثاني فعنوانه: "الصفات الحميدة لأولي الألباب السعداء"، وهو يشتمل على اثني عشر مطلباً، هي:

- المطلب الأول: ذكرهم الله تعالى في جميع أحوالهم ومقاماتهم.
- المطلب الثاني: تفكرهم في خلق السموات والأرض.
- المطلب الثالث: الوفاء بعهد الله تعالى.
- المطلب الرابع: عدم نقض الميثاق.
- المطلب الخامس: صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله والعباد.
- المطلب السادس: الخوف من الله تعالى وخشيته.
- المطلب السابع: الخوف من العذاب والحذر من سوء الحساب في الدار الآخرة.
- المطلب الثامن: الصبر ابتغاء وجه الله تعالى.
- المطلب التاسع: إقامة الصلاة.
- المطلب العاشر: الانفاق في جميع وجوه البر والخير.
- المطلب الحادي عشر: مقابلة السيئة بالإحسان.
- المطلب الثاني عشر: استماعهم القول واتباعهم أحسنه.

* وأما المبحث الثالث، فتحدثت فيه عن :اختفاء القرآن الكريم بأولي الألباب. وقد اشتمل على أحد عشر مطلباً:

- المطلب الأولى: الحكم المنطوية في تخصيص أولي الألباب بالذكر.
- المطلب الثاني: أولو الألباب ومبدأ القصاص.
- المطلب الثالث: أولو الألباب والتزود بخير الزاد.
- المطلب الرابع: أولو الألباب وإيتاء الحكمة.
- المطلب الخامس: أولو الألباب ورسوخهم في العلم.

- ⇦ المطلب السادس: أولو الألباب ودعاؤهم وتبتلهم إلى الله تعالى.
- ⇦ المطلب السابع: موقف أولي الألباب من الطيب والخبيث.
- ⇦ المطلب الثامن: أولو الألباب واعتبارهم بالتاريخ.
- ⇦ المطلب التاسع: أولو الألباب هم من يعرفون قيمة العلم والعقل.
- ⇦ المطلب العاشر: إدراك التفاوت بين العلماء والجهال.
- ⇦ المطلب الحادي عشر: أولو الألباب هم الذين يتذكرون وينتهون.

* وأما المبحث الرابع فجعلت عنوانه جزاء أولي الألباب السعداء.
* ثم الخاتمة، وقد اشتملت على نتائج البحث، والتوصيات التي يوصي بها الباحث.

هذا؛ والله أسأل أن يمن علي بالتوفيق، ويشرح لي صدري، وييسر لي أمري، ويهديني سواء السبيل، فإنه لا هداية إلا بنوره، ولا توفيق إلا بتدبيره، إن ربي قريب مجيب والحمد لله أولا وآخراً والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

خالد بن عون العنزي

جامعة طيبة

تمهيـــد

هذا التمهيد يشتمل على مواضع ذكر أولي الألباب في القرآن الكريم، فقد ذكر أولو الألباب في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا:

في سورة البقرة ثلاث مرات:

* المرة الأولى في الآية الجليلة رقم (١٧٩)، وهي آية تتحدث عن أحكام القصاص، وتوضح أن في إقامة حكم القصاص في المجتمع المسلم حياة لبقية أفراده وهو نداء لهم لعلهم يتقون الله تعالى.

* المرة الثانية في الآية الكريمة رقم (١٩٧)، وهي آية تتحدث عن أحكام الحج، وتبين أن خير الزاد هو تقوى الله تعالى ويأمر فيها المولى – تبارك وتعالى – أولي الألباب بتقواه.

* والمرة الثالثة، ورد ذكرهم في الآية المباركة رقم (٢٦٩)، وهي تبين أن من أوتي الحكمة والفهم؛ فقد أوتي الخير الكثير، ولا يعقل ذلك إلا أولو الألباب.

* وأما الموضع الرابع والخامس فقد ذكرا في سورة آل عمران في الآية (٧) إذ فيها يمدح الله – سبحانه وتعالى – الراسخين في العلم، ويثني عليهم، ومن ثم فهو يثني على أولي الألباب؛ لأنهم هم الذين يعقلون، ويتدبرون مثل هذه الأمور.

وفي الآية رقم (١٩٠) والتي يبين فيها المولى – تبارك وتعالى – أن أولي الألباب هم الذين يدركون حكمة الله تعالى في خلقه.

* وأما الموضع السادس لذكر أولي الألباب، فهو في سورة المائدة، في الآية رقم (١٠٠)، وهي آية مباركة تبين أن أولي الألباب هم من يعملون

ويدركون أن القليل الطيب خير من الكثير الخبيث، وعليهم أن يتقوا الله؛ فثمرة تقواه إنما ي الفلاح.

* وأما الموضع السابع فهو في ختام سورة يوسف عليه السلام في الآية رقم (١١١)، والتي فيها يبين الله – سبحانه وتعالى – أن أولي الألباب هم الذين يعتبرون بالتاريخ وأحداثه، ويؤمنون بأن الله تعالى ناصر رسله ولو كره المشركون والكافرون.

* وأما الموضع الثامن، الوارد فيه ذكر أولي الألباب، فهو في السورة التالية للسورة السابقة – أعني سورة الرعد – في الآية (١٩)، والتي فيها حث على طلب العلم، وبيان قيمة العلم وفضله ولا يعلم ذلك إلا أولو الألباب.

* والموضع التاسع لذكرهم في ختام سورة إبراهيم عليه السلام في الآية (٥٢)، والتي فيها يعلمنا الله – سبحانه وتعالى – أن هذا القرآن إنما هو بلاغ للناس، ومن ثم فعلى أولي الألباب أن يتذكروا ذلك وينتفعوا به.

* وأما الموضع العاشر والحادي عشر فقد ورد ذكرهم في سورة "ص" في الآية رقم (٢٩) والتي فيها وصف القرآن الكريم بالكمال والفضل، وفي الآية رقم (٤٣) الواردة في قصة أيوب عليه السلام وتبين مدى فضل الله تعالى عليه وفي ذلك عبرة لأولي الألباب.

* وأما الموضع الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر فقد ورد ذكرها في سورة الزمر:

في الآية رقم (٩) والتي فيها يبين الله تعالى أن فضل العلم عظيم ولا يتذكر ذلك إلا أولو الألباب.

وفي الآية رقم (١٨) والتي فيها يبين الله – سبحانه وتعالى – أن من صفات أولي الألباب أنهم الذين يستمعون المواعظ فيتبعون أحسنها.

وفي الآية رقم (٢١) والتي فيها تنبيه على حقيقة الدنيا، فلا يغتر بها الإنسان، ولا يفتن فيها، ولا يعقل ذلك إلا أولو الألباب.

* وأما الموضع الخامس عشر، فقد ذكره في سورة غافر، في الآية رقم (٥٤) والتي فيها يوضح الله تعالى أن في اتباع الرسل الهداية الكبرى، والنعمة العظيمة.

* وأما الموضع السادس عشر والأخير، فورد في سورة الطلاق، في الآية رقم (١٠) وفيها يعلمنا الله تعالى أن أولي الألباب يأخذون العبرة ممن حل بهم العذاب من القرى الظالمة، السابقة عليهم .

المبحث الأول

المراد بأولي الألباب

في هذا المبحث سأتناول – إن شاء الله تعالى – الحديث عن المراد بأولي الألباب سواء في اللغة أم في كتب التفسير.

وبإذن الله تعالى سوف ينتظم الحديث عن المراد بأولي الألباب في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: المراد بأولي الألباب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أصل اللب والاختلاف في اللباب.

المطلب الثالث: الفرق بين اللب ومرادفاته.

المطلب الأول: المراد بأولي الألباب في القرآن الكريم

تباينت أقوال المفسرين في المراد بأولي الألباب الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، ولكن أقوالهم تكاد تكون متقاربة. وذلك تبعا لورود أولي الألباب في كل سورة وكل آية.

فالمراد بأولي الألباب في القرآن الكريم هم:

إما أولو العقول، أو العقول السليمة أو العقول الصحيحة، أو أولو الإدراك الصحيح، أو أصحاب العقول الخالصة، أو الأفهام المستقيمة، أو العقول الكاملة.

قال الإمام فخر الدين الرازي عند تفسير: قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[1] قال: "المراد بهم العقلاء الذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف"[2].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٩.

(٢) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج ٥ ص ٥٠.

وعند قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"(١).

قال : "والمراد أنه لا ينتفع بهذه الأمثلة إلا أرباب الألباب الذين يطلبون من كل صورة معناها، ويأخذون من كل قشرة لبابها، ويعبرون بظاهر كل حديث إلى سره ولبابه"(٢).

وعند قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(٣).

قال: "أي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله"(٤).

وعند قوله تعالى: "وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"(٥).

---

(١) سورة الرعد الآية: ١٩.

(٢) تفسير الرازي، ج ١٩ ص ٣٢.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٠.

(٤) إرشاد العقل السليم، ج ١ ص ١٢٨.

(٥) سورة الزمر الآية: ٢١.

قال – رحمه الله تعالى –: "أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائلة"[1].

وعند قوله تعالى: "...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ"[2].

قال: "لأصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل"[3].

وقال الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: "...وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[4].

قال – رحمه الله تعالى – : "أي: وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل – يعني به الخطاب، ومعنى الكلام"[5].

وعند قوله تعالى: "...وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[6].

قال – رحمه الله تعالى – : "أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة"[7].

وعند قوله تعالى: "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا"[8].

---

(١) تفسير أبي السعود، ج ٢ ص ٨.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

(٣) تفسير أبي السعود ، ج ٧ ص ٢٥٠.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

(٥) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٢٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٧) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٣٤٧.

(٨) سورة الطلاق الآية: ١٠.

قال – رحمه الله تعالى –: "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ" أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب"[1].

وقال الأستاذ سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[2].

قال – رحمه الله تعالى –: "فصاحب اللب – وهو العقل – هو الذي يتذكر فلا ينسى، ويتنبه فلا يغفل، ويعتبر فلا يلج في الضلال ، وهذه وظيفة العقل"[3].

وعند قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"[4].

قال – رحمه الله تعالى –: "وأولو الألباب: أولو الإدراك الصحيح يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية؛ ولا يقيمون الحواجز، ولا يخلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات، ويتوجهون إلى الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فتتفتح بصائرهم، وتشف مداركهم، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله إياه، وتدرك غاية وجوده، وعلة نشأته، وقوام فطرته، بالإلهام الذي يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود"[5].

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٣٨٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ج ١ ص ٣١٢.

(٤) سورة الرعد الآية: ١٩.

(٥) في ظلال القرآن ج ١ ص: ٥٤٤-٥٤٥.

ويقول صاحب التفسير الشامل عند تفسير قوله تعالى :

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(١).

قال – رحمه الله تعالى –: "إنما يتذكر أولو الألباب: الذين بهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتتفكر وتنبه إلى دلائله فتتفكر"(٢).

ويقول كذلك عند قوله تعالى:

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(٣).

والكلام هنا عن أولي الألباب، وهم أولو العقول النيرة والبصائر الواعية، والأذهان المنبسطة التي تمتد لتبلغ الآفاق في سائر أنحاء العالمين لتقف على كثير من الحقائق والعلوم، ولتطلع على ما لا يدركه القاصرون والجهلة من أولي العقول الضعيفة(٤).

المطلب الثاني: أصل اللب والاختلاف في اللباب

*** أصل اللب:**

سمي اللب بذلك لأحد وجهين:

إما لبنائه من لب بالمكان إذا أقام به.

وإما من اللباب وهو الخالص، يقال: لببت بالمكان ولببت بالضم والكسر – أي بضم العين وكسرها(٥).

---

(١) سورة الرعد الآية: ١٩.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٤ ص ٢٠٥٦.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٠.

(٤) التفسير الشامل للقرآن الكريم لأمير عبد العزيز ج ١ ص ٦٢٣.

(٥) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٤٤.

* الاختلاف في اللباب:

ذكر الإمام الفخر الرازي الاختلاف في اللباب عند تفسير قوله تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"[1].

فقال: "أما قوله تعالى : "يأولي الألباب" فاعلم أن لباب الشيء ولبه هو الخالص منه، ثم اختلفوا بعد ذلك، فقال بعضهم:

إنه اسم للعقل لأنه أشرف ما في الإنسان، والذي تميز به الإنسان عن البهائم وقرب من درجة الملائكة، واستعد به للتمييز بين خير الخيرين، وشر الشرين.

وقال آخرون: إنه في الأصل اسم للقلب الذي هو محل العقل، والقلب قد يجعل كناية عن العقل قال تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[2] فكذا ههنا جعل اللب كناية عن العقل"[3].

المطلب الثالث: الفرق بين اللب ومرادفاته

اللب: لب كل شيء، ولبابه: خالصه وخياره، وخالص كل شيء: لبه ولب كل شيء نفسه وحقيقته.

واللب هو: العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه. وقيل: هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لباً. ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب[4].

واللب: العقل. والجمع ألْبابٌ مثل قُفْلٍ وأقْفَالٍ[5].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٢) سورة "ق" الآية: ٣٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي المسمى مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١٤٤.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (مادة: لبب٩ ٥/٣٩٧٥، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص: ٤٤٦.

(٥) المصباح المنير للفيومي ص: ٥٤٧.

وهذا تعريف موجز للألفاظ المرادفة لكلمة اللب، وهي:

* **الحجر:** وهو العقل، قال تعالى: "هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ"[1] وسمي به لأنه يمنع من الوقوع فيما لا ينبغي، كما سمي عقلاً ونهى لأنه يعقل وينهى. قال الفراء: والعرب تقول: إنه لذو حجر. إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها كأنه أخذ من قولهم: حجرت على الرجل. وعلى هذا سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبيح[2].

والحجر: بالكسر العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز[3].

* **الحلم:** بالكسر: الأناة والعقل. وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز: "أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا"[4].

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى"[5]. أي: ذووا الألباب والعقول واحدها حلم بالكسر[6].

* **النهى:** هي العقول واحدها نهية، لأنها تنهى عن القبيح، ومفردها نهية مثل مدية ومدي[7].

* **العقل:** الحجر والنهى، والجمع عقول[8].

---

(١) سورة الفجر الآية: ٥.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ج ٣١ ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) لسان العرب ج ٤ ص ١٧٠.

(٤) سورة الطور الآية: ٣٢.

(٥) رواه مسلم في كتاب الصلاة – باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام ج ١ ص ٣٢٣ رقم: ٤٣٢.

(٦) لسان العرب ج ١٢ ص ١٤٦.

(٧) انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٦، والمصباح المنير ص ٦٢٩.

(٨) لسان العرب ٤٥٨/١١، ومختار الصحاح ص ٤٤٦.

المبحث الثاني

الصفات الحميدة لأولي الألباب السعداء

وصف الله – عز وجل – أولي الألباب في القرآن الكريم بصفات حميدة كثيرة، ومجموع تلك الصفات اثنتا عشرة صفة، صفتان ذكرتا في سورة آل عمران، وتسع في سورة الرعد، وصفة واحدة في سورة الزمر. وقد جاءت هذه الصفات في اثني عشر مطلباً .

المطلب الأول

ذكرهم الله تعالى في جميع أحوالهم ومقاماتهم

وهذه منقبة جليلة، وصفة عظيمة؛ لأن ذكر الله تعالى يحفظ الإنسان من جميع الشرور، كما أنه يعين على كثير من نوائب الزمان.

قال الله تعالى : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"(١).

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – في معنى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم: أي "لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم"(٢).

وقال الإمام القرطبي: "قوله تعالى: "الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم" ذكر تعالى ثلاث هيئات لا يخلو ابن آدم منها في غالب أمره، فكأنها تحصر زمانه، وعن هذا المعنى تقول عائشة – رضي الله عنها : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه"(٣) .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠، ١٩١.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج ١ ص ٤٣٨.

(٣) رواه مسلم – رحمه الله تعالى – في كتاب الحيض، باب ٣٠، ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ص ٢٨٢. وانظر تفسير القرطبي ج٣ ص ٣١٩.

وقال د. وهبة الزحيلي :

"ثم وصف الله تعالى أولي الألباب بأنهم يجمعون بين التذكر والتفكر، ويذكرون الله في مختلف أحوالهم من قيام وقعود واضطجاع. لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم"(١).

وقال د. أمير عبد العزيز:

"قوله: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا): ذلك وصف لأولي الألباب، فهم يذكرون الله. وذكر الله عبادته باللسان المعبر عما في القلب من إقرار وتصديق، وهذا شأن المؤمن، يذكر الله بلسانه اللاهج بتعظيم الله، وقلبه حافل بالتصديق واليقين"(٢).

المطلب الثاني

تفكرهم في خلق السموات والأرض

ومعنى التفكر في خلق السموات والأرض "أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته، واختياره ورحمته"(٣).

"والإنسان السوي ذو اللب إنما يناط به التفكير في خلق الله ليصل بالضرورة إلى أن الله هو الخالق المبدع"(٤).

قال الشيخ السعدي:

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشرائع والمنهج لوهبة الزحيلي ج ٤ ص ٢٠٧.

(٢) التفسير الشامل للقرآن الكريم ج ١ ص ٦٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٤٨.

(٤) التفسير الشامل للقرآن العظيم ج ١ ص ٦٢٣.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم {يذكرون الله} في جميع أحوالهم: {قياما وقعودا وعلى جنوبهم} وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم {يتفكرون في خلق السماوات والأرض} أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين [1].

المطلب الثالث

الوفاء بعهد الله تعالى

الوفاء بعهد الله من صفات أولي الألباب المؤمنين، وليس من صفات المنافقين الذين يغدرون إذا عاهدوا، ويفجرون إذا خاصموا، ويكذبون إذا حدثوا، ويخونون إذا أؤتمنوا.

قال الله تعالى : "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ"[2].

والعهد اسم للجنس، أي بجميع فروض الله، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عباده، ويدخل فيه التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي[3].

---

(١) تفسير السعدي ج ١ ص ١٦١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٩-٢٠-٢١-٢٢.

(٣) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٢.

والمراد بعهد الله: إما ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالى حين قالوا: بلى، أو ما عهد الله عليهم في كتبهم[1].

قال الأستاذ: سيد قطب رحمه الله تعالى في ظلاله :

"وعهد الله مطلق، يشمل كل عهد. وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق، والعهد الأكبر الذي تقوم عليه العهود كلها هو عهد الإيمان؛ والميثاق الأكبر الذي تتجمع عليه المواثيق كلها، هو ميثاق الوفاء بمقتضيات هذا الإيمان. وعهد الإيمان قديم وجديد، قديم مع الفطرة البشرية المتصلة بناموس الوجود كله، المدركة إدراكاً مباشراً لوحدة الإرادة التي صدر عنها الوجود، ووحدة الخالق صاحب الإرادة، وأنه وحده المعبود. وهو الميثاق المأخوذ على الذرية في ظهور بني آدم فيما ارتضيناه لها من تفسير، ثم هو جديد مع الرسل الذين بعثهم الله لا لينشئوا عهد الإيمان، ولكن ليجددوه ويذكروا به ويفصلوه، ويبينوا مقتضياته من الدينونة لله وحده، والانخلاع من الدينونة لسواه، مع العمل الصالح والسلوك القويم، والتوجه به إلى الله وحده صاحب الميثاق القديم"[2].

ونلاحظ مما سبق ذكره أن الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – جعل الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق شيئاً واحداً.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج ١٥ ص ١٦.

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٧.

المطلب الرابع

عدم نقض الميثاق

كذلك من صفات أولي الألباب أنهم لا ينقضون الميثاق كما في آية الرعد السابقة "وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ".

ومعنى نقض الميثاق: أنهم لا يخلون بواجبات العهد والتزاماته، ولا ينقضون عهد الأيمان مع ربهم، ولا بالعقود التي يرمونها مع الناس من بيع وشراء وسائر المعاملات[1].

التلازم بين الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق:

يمكن أن يكون الترابط بينهما هو التعميم بعد التخصيص، كما أن في نقض الميثاق بصيغة المستقبل تأكيداً للاستمرار[2].

وقيل: هما مفهومان متلازمان، وإن كانا متغايرين. ونص على منع النقض تأكيداً عليه أو أنه تعميم بعد تخصيص.

قال قتادة: إن الله ذكر الوفاء بالعهد والميثاق في بضع وعشرين موضعاً في القرآن عناية بأمره واهتماماً بشأنه[3].

هذا وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي أقوالاً في المراد بنقض الميثاق هي :

القول الأول: وهو قول الأكثرين إن هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد ، فإن الوفاء بالعهد قريب من عدم نقض الميثاق والعهد.

---

(١) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٢.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ١٩ ص ١٦.

(٣) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٣.

القول الثاني: أن الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه، فالحاصل: أن قوله: "الذين يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ" إشارة إلى ما كلف الله العبد به ابتداء. وقوله: "وَلاَ يَنقُضُونَ الميثاق" إشارة إلى ما التزمه العبد من أنواع الطاعات بحسب اختياره نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات.

والقول الثالث: أن المراد بالوفاء بالعهد: عهد الربوبية والعبودية. والمراد بالميثاق: المواثيق المذكورة في التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية على وجوب الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره[1].

المطلب الخامس

صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله والعباد

ومن صفات أولي الألباب في القرآن الكريم أنهم يصلون رحمهم كما في آية الرعد السابقة "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ".

وقد ورد أن صلة الرحم تزيد في الرزق والأجل.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه"[2].

*** فائدة إفراد صلة الرحم بالذكر مع أنها داخلة فيما تقدم:**

نص الله – جل وعلا – على هذا الوصف في هذ المواضع مع دخوله في الوصفين السابقين للتأكيد، ولئلا يظن ظان أن الوفاء بالعهد مقصور على ما بين الإنسان وبين الله تعالى[3].

---

(١) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي ج ١٩ ص ٣٢.

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب – باب ١٢ من بسط له في الرزق بصلة الرحم ١٠/٤١٥ حديث رقم ٥٩٨٦ وهو من حديث أنس.

(٣) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٣، وانظر مفاتيح الغيب أيضا ج ١٩ ص ٣٢.

ومعنى الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف[1].

وأكثر المفسرين على أن ما أمر الله به أن يوصل ظاهر في صلة الأرحام وهو يتناول أيضا جميع الطاعات .

وقال الإمام أبو السعود:

"ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم، ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج"[2].

وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في ظلاله كلاماً جيداً في هذه النقطة، حيث قال: "هكذا في إجمال. فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه، أي: أنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة، والسير على السنة، ووفق الناموس بلا انحراف ولا التواء. لهذا ترك الأمر مجملاً، ولم يفصل مفردات ما أمر الله به أن يوصل؛ لأن هذا التفصيل يطول، وهو غير مقصود، إنما المقصود هو تصوير الاستقامة المطلقة التي لا تلتوي، والطاعة المطلقة التي لا تتفلت، والصلة المطلقة التي لا تتقطع"[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٠.

(٢) تفسير أبو السعود ج ٥ ص ١٧.

(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٧.

المطلب السادس

الخوف من الله تعالى وخشيته

هذا هو الوصف الرابع من الأوصاف المذكورة في سورة الرعد (يخشون ربهم) وهو الله سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير:

"ويخشون ربهم، أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال يراقبون الله في ذلك"[1].

هذا ولما كانت الخشية مقرونة بالتعظيم والعلم بمن يخشاه، فقد خص الله تعالى العلماء بمزيد الخشية فقال: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"[2][3].

وذكر الإمام أبو السعود أن المراد بالخشية هنا: هي خشية الجلال والهيبة والرهبة فقال: "ويخشون ربهم": خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما أمر به[4].

وقال الإمام الرازي:

"والمعنى: أنه وإن أتى بكل ما قدر عليه في تعظيم أمر الله، وفي الشفقة على خلق الله إلا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مستولياً على قلبه وهذه الخشية نوعان:

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٠، وانظر التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٣.

(٢) سورة فاطر الآية: ٢٨.

(٣) انظر: التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٣.

(٤) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٧، وانظر: حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٥٠١.

أحدهما: أن يكون خائفاً من أن يقع زيادة أو نقصان أو خلل في عباداته وطاعاته، بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها.

والثاني : وهو خوف الجلال، وذلك لأن العبد إذا حضر عند السلطان المهيب القاهر فإنه وإن كان في غير طاعته إلا أنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة"[1].

المطلب السابع

الخوف من العذاب والحذر من سوء الحساب في الدار الآخرة

وهو الوصف الخامس من أوصاف أول الألباب في سورة الرعد "وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ".

وهل هناك تكرار بين هذا الوصف والوصف السابق؟

يقول الإمام الرازي:

"اعلم أن القيد الرابع إشارة إلى الخشية من الله وهذا القيد الخامس إشارة إلى الخوف والخشية وسوء الحساب، وهذا يدل على أن المراد من الخشية من الله ما ذكرناه من خوف الجلال والمهابة والعظمة وإلا لزم التكرار"[2].

والمراد بسوء الحساب: الاستقصاء فيه والمناقشة، ومن نوقش الحساب عذب[3]. ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا؛ لأن الحساب يشمل كل صغير وكبير، ومن خاف الحساب أقبل على الطاعة وتجنب المعصية[4].

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٣٤.

(٢) تفسير مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٣٤، وانظر: التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٤.

(٣) حديث "من نوقش الحساب عذب" أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة – باب إثبات البعث بلفظ "من نوقش الحساب يوم القيامة عذب" ج ٤ ص ٢٢٠٤، وهو حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ص ٣١٨، والتفسير المنير ج ١٣ص ١٥٤

المطلب الثامن

الصبر ابتغاء وجه الله تعالى

"والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم".

والصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أي على ما يقتضيان حبسها عليه[1].

ومعنى ابتغاء وجه الله: أي ابتغاء ثوابه ورضاه، فالكلام على حذف مضاف.

والصبر أنواع وألوان .

قال الأستاذ سيد قطب – رحمه الله تعالى – في الظلال:

"والصبر ألوان، وللصبر مقتضيات. صبر على تكاليف الميثاق من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد.. وصبر على النعماء والبأساء. وقل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر. وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم، وهي تضيق الصدور.. وصبر وصبر وصبر.. كله ابتغاء وجه ربهم، لا تحرجاً من أن يقول الناس: جزعوا. ولا تجملاً ليقول الناس: صبروا. ولا رجاء في نفع من وراء الصبر. ولا دفعاً لضر يأتي به الجزع. ولا لهدف واحد غير ابتغاء وجه الله. والصبر على نعمته وبلواه. صبر التسليم لقضائه والاستسلام لمشيئته والرضى والامتثال"[2].

كما أن هناك صبراً على العبادات. وصبراً على ثقل الأمراض والمضار والغموم والأحزان، وصبراً على ترك المشتهيات. وبالجملة الصبر على ترك المعاصي وعلى أداء الطاعات[3].

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٥٠١.

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٧.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٣٥.

هذا وقد حث الله – تبارك وتعالى – على الصبر عموماً في أكثر من آية قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"(١).

وقال أيضا مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ"(٢).

وقال أيضا: "فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا"(٣).

المطلب التاسع

إقامة الصلاة

كذلك من صفات أولي الألباب الذين أثنى عليهم ربنا في كتابه الكريم أنهم يقيمون الصلاة، وذلك بأن يؤدوها كاملة الأركان، مستوفية شروطها.

قال الحافظ ابن كثير:

"وأقاموا الصلاة بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي"(٤).

*** هل إقامة الصلاة داخلة في الوفاء بعهد الله وميثاقه؟ وإذا كانت داخلة فلم نص عليها؟**

والجواب أنهاداخلة في الوفاء بعهد الله وميثاقه، ولكنه يبرزها لأنها الركن الأول لهذا الوفاء، ولأنها مظهر التوحيد الخالص الكامل لله، ولأنها الصلة الظاهرة بين العبد والرب، الخالصة له، ليس فيها من حركة ولا كلمة لسواه(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٧.

(٣) سورة المعارج الآية: ٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٠، وانظر تفسير القرطبي ج ٩ ص ٣١٩.

(٥) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٨.

قال الإمام الرازي:

"واعلم أن الصلاة والزكاة وإن كانتا داخلتين في الجملة الأولى إلا أنه تعالى أفردهما بالذكر تنبيهاً على كونهما أشرف من سائر العبادات"[1].

المطلب العاشر

الإنفاق في جميع وجوه البر والخير

من صفات أولي الألباب كما ذكرها القرآن الكريم أنهم ينفقون مما رزقهم الله تعالى في السر والجهر بحسب حالهم كما في آية الرعد السابقة :

(وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) .

قال الحافظ ابن كثير:

"وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ" أي: على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب، من فقراء ومحاويج ومساكين، "سِرًّا وَعَلَانِيَةً" أي: في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، في آناء الليل وأطراف النهار"[2].

والإنفاق نوعان؛ فقد يكون واجباً، وقد يكون مندوباً.

قال صاحب التفسير المنير:

"وأنفقوا بعض ما رزقناهم في السر والجهر بحسب مقتضى الحال، فيسرون النفقة بينهم وبين ربهم حتى لا يكون قصدهم الرياء والسمعة، ويعلنونها أحياناً للناس إذا كانت بقصد التشجيع والتعليم والقدوة. سواء كان إنفاقاً واجباً كالإنفاق على الزوجة والولد والأقارب الفقراء، أو مندوباً كالإنفاق على الفقراء والمساكين الأباعد"[3].

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥١٠.

(٣) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٤.

* هل الإنفاق داخل في ما أمر الله به أن يوصل أم لا؟

نعم الإنفاق داخل في ما أمر الله به أن يوصل، وفي الوفاء وعدم نقض الميثاق، ولكن الله خصه ههنا بالذكر لأنه الصلة بين عباد الله التي تجمعهم في الله وهم في نطاق الحياة، والتي تزكي نفس معطيها من البخل، وتزكي نفس آخذها من الغل، وتجعل الحياة في المجتمع المسلم لائقة بالبشر المتعاونين المتضامنين الكرام على الله، والإنفاق سراً وعلانية. السر حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة، وتتحرج النفس من الإعلان. والعلانية حيث تطلب الأسوة. وتنفذ الشريعة، ويطاع القانون. ولكل موضعه في الحياة[1].

المطلب الحادي عشر

مقابلة السيئة بالإحسان

هذه صفة قلما تتوفر في شخص ما، إلا أنها تتوفر في أولي الألباب حيث وصفهم الله في آية الرعد السابقة بأنهم : "يَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ".

وقد حث الله – تبارك وتعالى – في غير ما آية على أن نقابل الإساءة بالإحسان. قال تعالى: " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ"[2]. وقال: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[3].

ومن يقوى على ذلك إلا من له لب وعقل يجعله قادراً على ذلك، مدركاً بعقله العواقب التي تترتب على ذلك.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٨.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٩٦.

(٣) سورة فصلت الآية: ٣٤.

قال الإمام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى: "وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ"[1] فيه وجهان:

الأول: أنهم إذا أتوا بمعصية درؤوها ودفعوها بالتوبة كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل: "إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها"[2].

والثاني : أن المراد أنهم لا يقابلون الشر بالشر، بل يقابلون الشر بالخير كما قال تعالى: "وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً"[3][4].

هذا وقد ذكر الإمام أبو السعود بعض الأقوال في قوله تعالى: "وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ" فقال: ويدرءون بالحسنة السيئة: أي يجاوزن الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من شيء غيره.

وعن الحسن: إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا.

وعن ابن كيسان: إذا أذنبوا تابوا، وقيل إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره[5]

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٢.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج ١٥ ص ٧٨٤ رقم: ٤٣٠٩٩، ورواه أحمد في المسند وهو من حديث أبي در بلفظ: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحوها" ج ٨ ص ١١٣، ١١٤.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٧٢.

(٤) تفسير الإمام الرازي ج ١٩ ص ٣٥.

(٥) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٧.

المطلب الثاني عشر

استماعهم القول واتباعهم أحسنه

من صفات أولي الألباب الحميدة أنهم لا يستمعون إلا لأحسن القول، ولا تلفظ ألسنتهم إلا بأحسنه ، هكذا وصفهم خالقهم بقوله : "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ"[1].

قال صاحب الظلال:

"هؤلاء – يقصد أولي الألباب – من صفاتهم أنهم يستمعون ما يستمعون من القول فتلتقط قلوبهم أحسنه وتطرد ما عداه، فلا يلحق بها ولا يلصق إلا الكلم الطيب، الذي تزكو به النفوس والقلوب..والنفس الطيبة تتفتح للقول الطيب فتتلقاه وتستجيب له. والنفس الخبيثة لا تتفتح إلا للخبيث من القول ولا تستجيب إلا له"[2].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٧-١٨.

(٢) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٠٤٥.

المبحث الثالث

احتفاء القرآن الكريم بأولي الألباب

أشاد القرآن الكريم بأولي الألباب ومدحهم وأثنى عليهم في مواضع كثيرة من القرآن العظيم إعلاءً لشأنهم ، ورفعةً لهم ، وفي هذا المبحث تبيين ذلك وتوضيحه عبر المطالب التالية :

المطلب الأول

الحكم المنطوية في تخصيص أولي الألباب بالذكر

الذي يتلو الآيات البينات التي ورد فيها ذكر أولي الألباب يلمس أنه خُصَّ أولو الألباب بالذكر لعلة أو فائدة جليلة.

يقول الفخر الرازي وهو بصدد تفسير قوله تعالى في سورة البقرة "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[1] ذاكراً سبب تخصيص أولي الألباب بهذا الخطاب:

"يأولي الألباب" المراد بهم العقلاء الذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف، فإذا أرادوا الإقدام على قتل أعداءهم، وعلموا أنهم يطالبون بالقود صار ذلك رادعاً لهم، لأن العاقل لا يريد إتلاف غيره بإتلاف نفسه، فإذا خاف ذلك كان خوفه سبباً للكف والامتناع، إلا أن هذا الخوف إنما يتولد من الفكر الذي ذكرناه ممن له عقل يهديه إلى هذا الفكر فمن لا عقل له يهديه إلى هذا الفكر لا يحصل له هذا الخوف، فلهذا السبب خص الله سبحانه بهذا الخطاب أولي الألباب"[2].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج ٥ ص ٥٠.

ويقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"[1]:

"خص أولي الألباب بالخطاب – وإن كان الأمر يعم الكل – لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابلو أوامره والناهضون بها"[2].

ويقول الإمام أبو السعود عند تفسير آخر آية من سورة إبراهيم عليه السلام: "وفي تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا"[3].

ويقول الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور عند تفسير آية: "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا"[4] ما نصه:

"وفي نداء المؤمنين بوصف (أولي الألباب) إيماء إلى أن العقول الراجحة تدعو إلى تقوى الله لأنها كمال نفساني ولأن فوائدها حقيقية دائمة ولأن بها اجتناب المضار في الدنيا والآخرة قال تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ"[5] [6].

وقد خصهم بالذكر لأنهم وحدهم ينتفعون بذلك دون غيرهم[7].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٢) ج ٢ ص ٤٠٥، وانظر: التفسير المنير ج ٢ ص ٢٠٨، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ج ١ ص ٢٠١.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٥ ص ٦٢.

(٤) سورة الطلاق الآية: ١٠.

(٥) سورة يونس الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٦) التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور ج ٢٨ ص ٣٣٦.

(٧) الجديد في تفسير القرآن المجيد لمحمد السبزاوي ج ٧ ص ٦٨٣.

المطلب الثاني

أولو الألباب ومبدأ القصاص

ذكر الله تعالى في آية القصاص السابقة الحديث عن القصاص في القتلى، وأنه مفروض من الله عز وجل عقاباً منه لمن أقدم على قتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق.

وهذا المبدأ – وهو القصاص – مبدأ عظيم، وفي تطبيقه في الحياة حياة لجميع الأفراد وخاصة أولي الألباب.

فقد أخبر المولى – سبحانه وتعالى – أن فيه حياة، وخاطب أولي الألباب بالذات بعد أن خاطبهم بعنوان الإيمان، وفي ذلك دعوة للتأمل في حكمة القصاص.

قال صاحب إرشاد العقل السليم:

" ولكم في القصاص حياة: بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع، لا تُنال غايته، حيث جعل الشيء وهو القصاص محلاً لقيده وهو الحياة، ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف، وذلك لأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم، ففي الشرع القصاص سلام من هذا كله"[1].

وقال الخطيب الشربيني:

" ثم نادى ذوي العقول الكاملة بقوله: "يا أولي الألباب" للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس، ثم بين سبحانه وتعالى مشروعية ذلك بقوله: "لعلكم تتقون" القتل مخافة القود أو تعلمون عمل أهل

---

(١) إرشاد العقل السليم ج ١ ص ١٩٦.

التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به، والإذعان له. وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة"[1].

المطلب الثالث

أولو الألباب والتزود بخير الزاد

ذكر المولى – تبارك وتعالى – التزود بخير الزاد، وهو تقوى الله تعالى في معرض حديثه عن الحج وأحكامه.

وأمر أولي الألباب باتقائه والخوف منه فقال سبحانه: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"[2].

قال الأستاذ سيد قطب – رحمه الله تعالى –:

"والتقوى زاد القلوب والأرواح، منه تقتات، وبه تتقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصول والنجاة، وأولو الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى، وخير من ينتفع بهذا الزاد"[3].

وقال د. وهبة الزحيلي:

"وتزودوا بالأعمال الصالحة التي تنفعكم، واتخذوا التقوى زاداً لمعادكم، فإن خير الزاد اتقاء المنهيات، وأخلصوا لي يا أهل العقول أعمالكم بأداء ما أوجبته عليكم من الفرائض ولجتناب ما حرمته عليكم، فإن فعلتم ذلك نجوتم من العقاب وأدركتم الفوز بالرضا والرحمة الإلهية"[4].

---

(١) تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير للخطيب الشربيني ج ١ ص ١١٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٣) تفسير الظلال ج ١ ص ١٩٧.

(٤) التفسير المنير ج ٢ ص ٢٠٨.

المطلب الرابع

أولو الألباب وإيتاء الحكمة

أخبر المولى – تبارك وتعالى – في سورة البقرة أنه يؤتي الحكمة من يشاء من عباده، ومن يؤتاها فقد أوتي الخير الكثير، ولا يفعل ذلك إلا أولو الألباب.

قال تعالى : "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"(١).

والمراد من الحكمة إما العلم وإما فعل الصواب(٢).

هذا وقد اختلف العلماء في المراد بالحكمة.

فقال السدي: هي النبوءة.

وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره.

وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل.

وقال ابن زيد: الحكمة الفقه في الدين.

وقال مالك بن أنس: الحكمة المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له.

وقال أيضاً: الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به.

وقال الربيع بن أنس: الحكمة الخشية.

وقال الحسن: الحكمة الورع.

وقال إبراهيم النخعي: الحكمة الفهم في القرآن.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

(٢) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٢.

وقال الجمل في حاشيته معقبا على هذه الأقوال بعد أن ذكرها في حاشيته: وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول وكل ما ذكر فهو نوع من الأقوال وهو نوع من الحكمة التي هي الجنس. فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة. وأصل الحكمة ما يُمنع به من السفه فقيل للعلم حكمة لأنه يمنع به من السفه، وهو كل فعل قبيح وكذا القرآن والعقل والفهم[1].

المطلب الخامس

أولو الألباب ورسوخهم في العلم

أولو الألباب ذكر المولى – تبارك وتعالى – في كتابه، وأخبر بأنهم يؤمنون بالمحكمات، ويصدقون بالمتشابه. ومن ثم رسخوا في العلم.

" هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[2].

هذا وفي تذييل هذه الآية مدح للراسخين في العلم وثناء عليهم بأنهم من أولي الألباب.

قال الإمام الرازي:

"وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألباب" وهذا ثناء من الله تعالى على الذين قالوا آمنا به، ومعناه: ما يتعظ بما في القرآن إلا ذووا العقول الكاملة، فصار هذا اللفظ كالدلالة على أنهم يستعملون عقولهم في فهم القرآن. فيعلمون الذي

---

(١) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٢٤.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٧.

يطابق ظاهره دلائل العقول فيكون محكماً، وأما الذي يخالف ظاهره دلائل العقول فيكون متشابهاً، ثم يعلمون أن الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض والباطل، فيعلمون أن ذلك المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى[1].

وقال الإمام أبو السعود أيضاً:

"وهو تذييل – يقصد قوله تعالى " وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ – سيق من جهته تعالى مدحاً للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس"[2].

والراسخ في العلم هو الذي يؤمن بالله وكتابه.

قال الإمام الرازي:

" واعلم أن الراسخ في العلم هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية، وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل اليقينية، فإذا رأى شيئاً متشابهاً، ودل القطعي على أن الظاهر ليس مراد الله تعالى ، علم حينئذٍ قطعاً أن مراد الله شيء آخر سوى ما دلّ عليه ظاهره، وأن ذلك المراد حق، ولا يصير كون ظاهره مردوداً شبهة في الطعن في صحة القرآن"[3].

---

(١) تفسير الإمام الرازي ج ٧ ص ١٥٥.

(٢) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٨.

(٣) تفسير الإمام الرازي ج ٧ ص ١٥٤.

المطلب السادس

أولو الألباب ودعاؤهم وتبتلهم إلى الله تعالى

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في معرض حديثه عن أولي الألباب عدداً من الأدعية المأثورة عنهم، والتي ترد على ألسنتهم.

فهم على اتصال دائم بالله عز وجل ويدعونه بأدعية خاصة تنم عن خشوعهم له سبحانه وتدبرهم لكتابه الكريم، وإيمانهم بمنزله عز وجل وبما أنزل في كتابه.

والأدعية المأثورة عنهم وردت في سورة آل عمران.

وهذه الأدعية :

١- "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"[١].

٢- "رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ"[٢]. فألسنتهم وقلوبهم تنطلق في دعاء خاشع وفي ابتهال منيب أن يثبتهم الله تعالى على الحق، وألا يزيغ قلوبهم بعد الهدى، وأن يسبغ عليهم رحمته وفضله، ويتذكرون يوم الجمع الذي لا ريب فيه، والميعاد الذي لا خلف له[٣].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٨.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٩.

(٣) انظر: تفسير الظلال ج ١ ص ٣٧٠.

٣- "رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[١]. قال الحافظ ابن كثير: "أي: ما خلقت هذا الخلق عَبَثًا، بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: "سُبْحَانَكَ" أي: عَنْ أن تخلق شيئا باطلا "فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" أي: يا من خَلَق الخلق بالحق والعدل يا من هو مُنزه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم"[٢].

٤- "رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ"[٣]. قال الحافظ ابن كثير: "فقد أخزيته: أي أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع "وما للظالمين من أنصار" أي: يوم القيامة لا مجير لهم منك، ولا محيد لهم عما أردت بهم"[٤].

٥- "رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ"[٥]. أي: سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول صلى الله

---

(١) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٢.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٢.

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٩٣.

عليه وسلم يقول: آمنوا بربكم فاستجبنا له واتبعناه، فاستر لنا يا ربنا ذنوبنا بإيماننا وباتباعنا نبيك وكفر عنا سيئاتنا فيما بيننا وبينك وألحقنا بالصالحين"[1].

٦- "رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ"[2]. أي: وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك أو ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فلابد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بيد يديك"[3].

المطلب السابع

موقف أولي الألباب من الطيب والخبيث

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم في سورة المائدة أن القليل الطيب خير من الكثير الخبيث. ونادى – سبحانه وتعالى – أولي الألباب أن يتقوه لعلهم يكونوا من المفلحين.

قال تعالى: "قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[4].

قال الخطيب الشربيني: "فاتقوا الله" أي: في ترك الخبيث، وإن كثر في الحس لنقصه في المعنى، وائتوا الطيب وإن قلّ في الحس لكثرته في

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

(٤) سورة المائدة الآية: ١٠٠.

المعنى، "يا أولي الألباب" أي: أصحاب العقول السليمة "لعلكم تفلحون" أي: لتكونوا على رجاء من أن تفوزوا بجميع المطالب[1].

ومن ثم يتبين لنا أنه لا يتساوى الحلال والحرام، وكذا العمل الصالح مع العمل الطالح، لأن القليل الطيب خير من الكثير الخبيث، مهما بلغ انصراف الناس إلى الشهوات والمعاصي، فالعبرة بجودة الشيء أو رداءته لا بالكثرة ولا بالقلة.

وقال صاحب الظلال:

"والعقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له ورقابة القلب له يختار الطيب من الخبيث فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[2].

المطلب الثامن

أولو الألباب واعتبارهم بالتاريخ

ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض قصص الرسل مع أقوامهم.

فمن ذلك قصة يوسف – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –، وقد أثنى المولى – تبارك وتعالى – على أولي اللباب في مختتم سورة يوسف، حيث قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[3].

وذلك لأنهم يعتبرون بالتاريخ، ويأخذون منه العبرة والعظة، فيعلمون أن الله تعالى ناصر أولياءه ولو بعد حين، والعاقبة للمتقين.

---

(١) تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ج ١ ص ٣٩٩.

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٩٨٣.

(٣) سورة يوسف الآية: ١١١.

قال الأستاذ سيد قطب:

"وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد، في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن، وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس، ثم كانت العاقبة خيراً للذين اتقوا كما هو وعد الله الصادق الذي لا يخيب.

وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين فيها عبرة لمن يعقل، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب. فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثاً مفترى، فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضاً. ولا تحقق هداية، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة"(١).

وأما وجه الاعتبار بهذه القصة، فقد قال الشيخ الجمل في حاشيته:

"ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه وإخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته وإظهار دينه"(٢).

وقال الإمام الرازي:

"اعلم أن الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول، والمراد منه التأمل والتفكر. ووجه الاعتبار بقصصهم أمور:

الأول: أن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب، وإعلائه بعد حبسه في السجن، وتمليكه مصر بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم،

---

(١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٣٧.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٤٨٧.

وجمعه مع والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة، لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته.

الثاني: أن الإخبار عنه جار مجرى الإخبار عن الغيب، فيكون معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أنه ذكر في أول السورة "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص"[1] ثم ذكر في آخرها: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الألباب"[2] تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة[3].

ففي الآية السابقة يؤكد الله سبحانه وتعالى أن ما أورده من قصص السابقين، وحكاية حالهم، فيه العبرة والموعظة التي توجب الاعتبار لأولي الألباب؛ لأنهم هم المنتفعون بالقصص دون غيرهم.

هذا وقد ابتلى الله تعالى بعض الرسل بأشد الابتلاءات ومن هؤلاء الذين ابتلوا رسول الله أيوب عليه السلام؛ فقد ابتلاه الله تعالى بالمرض عدة سنوات، فأولو الألباب هم من يأخذون العبرة والعظة من صبر الأنبياء، حتى يكون مثلاً يحتذى بهم في صبرهم، فالصبر عافيته عظيمة، وفيه المخرج من الشدة.

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ"[4].

---

(١) سورة يوسف الآية: ٣.

(٢) سورة يوسف الآية: ١١١.

(٣) مفاتيح الغيب ج ١٧ ص ١٨١- ١٨٢.

(٤) سورة "ص" الآية: ٤٣.

"رَحْمَةً مِنَّا" أي: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته "وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ" أي: لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة[1].

كذلك ذكر المولى – تبارك وتعالى – في سورة غافر في قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ"[2]. أن الله عز وجل بعث موسى بالهدى والنور، وجعل العاقبة لبني إسرائيل، وأورثناهم بلاد فرعون، وأمواله وحواصله وأرضه، بما صبروا على طاعة الله – تبارك وتعالى –، واتباع رسوله موسى عليه السلام، وفي الكتاب الذي أورثوه – وهو التوراة – "هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ" وهي: العقول الصحيحة السليمة[3].

وقال د. وهبة الزحيلي:

"من أنواع نصر الرسل في الدنيا والآخرة: إيتاء موسى عليه السلام التوراة والنبوة، وسميت التوراة هدى بما فيها من الهدى والنور، ثم جعل الله التوراة ميراثاً لبني إسرائيل وموعظة لأصحاب العقول"[4].

أيضاً أولو الألباب يأخذون العبرة والعظة من حال القرى السابقة التي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله – عليهم الصلوات وتسليمه.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٠.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٨٤.

(٤) التفسير المنير ج ٢٤ ص ١٤٥-١٤٦.

قال تعالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا"(١).

قال الحافظ ابن كثير:

"فاتقوا الله يا أولي الألباب: أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب"(٢).

المطلب التاسع

أولو الألباب هم من يعرفون قيمة العلم والعقل

أولو الألباب هم من يعرفون قدر العلم وقيمته.

العلم بأن ما أنزله الله سبحانه وتعالى هو الحق، أو العلم بأن من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فهوالذي له سعادة الدنيا و الآخرة.

فالذي يعلم هو الذي ينجو، والذي لا يعلم هو الهالك لا محالة.

قال الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"(٣).

"فهذا إشارة إلى المثل المتقدم ذكره وهو أن العالم بالشيء كالبصير، والجاهل به كالأعمى، وليس أحدهما كالآخر، لأن الأعمى إذا أخذ يمشي من غير قائد، فالظاهر أنه يقع في البئر وفي المهالك، وربما أفسد ما كان على

(١) سورة الطلاق الآيات: ٨-١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٤.

(٣) سورة الرعد الآية: ١٩.

طريقه من الأمتعة النافعة، أما البصير فإنه يكون آمناً من الهلاك والإهلاك"[1].

كما أن في هذه الآية الكريمة حث على طلب العلم للوصول إلى المعرفة الحقة، لأنه إذا كان حال الجاهل كحال الأعمى وحال العالم كحال البصير، وأمكن لهذا الأعمى أن يصير بصيراً فما الذي يقعده عن طلب العلم الذي يخرجه من حال العمى إلى حال الإبصار؟ فلزم أن يجتهد تمام الاجتهاد حتى يصير بصيراً وينجي نفسه من عمى الجهل والضلال"[2].

كذلك ذكر الله تعالى ونبه على قيمة العقل في قوله تعالى: "هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[3]. وهذه الآية تدل على فضل العقل.

قال صاحب التفسير المنير:

"هذه الآية الأخيرة من السورة دالة على أنه لا فضيلة للإنسان ولا منقبة له إلا بسبب عقله، لأنه تعالى بين أنه إنما أنزل هذه الكتب وإنما بعث الرسل لتذكير أولي الألباب"[4].

وهذه الآية الكريمة التي ختمت بها سورة إبراهيم عليه السلام وذكر فيها التذكير لأولي الألباب، قيل إنها عنوان كتاب الله عز وجل.

فقد سئل بعضهم: هل لكتاب الله عنوان؟ فقال: نعم. قيل: وأين هو؟ قال: قوله تعالى: " هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ".

---

(١) مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٣٢.

(٢) الجديد في التفسير ج ٤ ص ١٢٣.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٥٢.

(٤) التفسير المنير ج ١٣ ص ٢٨١.

والعلم الذي يعرف قيمته أولو الألباب فضله عظيم.

قال صاحب السراج المنير عند تفسير قوله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"[1].

"وإنما وصف الله تعالى الكفار بأنهم لا يعلمون؛ لأن الله تعالى وإن أعطاهم آلة العلم إلا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم، فلهذا جعلهم الله تعالى كأنهم ليسوا من أولي الألباب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم، وفي هذا تنبيه على فضيلة العلم. قيل: لبعض العلماء: إنكم تقولون: العلم أفضل من المال. ثم نرى العلماء، عند أبواب الملوك، ولا نرى الملوك عند أبواب العلماء؟

فأجاب بأن هذا أيضاً يدل على فضيلة العلم؛ لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه، والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه"[2].

وقال الإمام الرازي:

"وأما قوله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"[3] فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم"[4].

---

(١) سورة الزمر الآية: ٩.

(٢) السراج المنير ج ٣ ص ٤٣٦.

(٣) سورة الزمر الآية: ٩.

(٤) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ٢١٧.

المطلب العاشر

إدراك التفاوت بين العلماء والجهال

أولو الألباب هم من يدركون التفاوت بين العلماء والجهال.

وقال الحافظ ابن كثير:

" وقوله: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ" أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله؟! "إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ" أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل"[1].

وقال الفخر الرازي:

"وقوله تعالى "" إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضاً إلا أولو الألباب"[2].

قال صاحب التفسير المنير:

"قوله سبحانه: " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" يدل على أن إدراك التفاوت بين العلماء والجهال ومعرفة الحق لا يكون إلا من أولي الألباب"[3].

المطلب الحادي عشر

أولو الألباب هم الذين يتذكرون ويتنبهون

أخبر المولى – تبارك وتعالى – في كتابه الكريم عند الحديث عن أولي الألباب في أكثر المواضع التي ذكر فيها أولو الألباب، أنه إنما ينتفع بالذكرى أولو الألباب.

وذلك في تسع مواضع من المواضع الستة عشر التي ذكر فيها أولو الألباب.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧.

(٢) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ٢١٩، وانظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤٣٦.

(٣) التفسير المنير ج ٢٣.

قال الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[1].

"والمراد به عندي – والله أعلم – أن الإنسان إذا رأى الحكم والمعارف حاصلة في قلبه ثم تأمل وتدبر وعرف أنها لم تحصل إلا بإيتاء الله تعالى وتيسيره، كان من أولي الألباب، لأنه لم يقف عند المسببات، بل ترقى منها إلى أسبابها، فهذا الانتقال من المسبب إلى السبب هو التذكر الذي لا يحصل إلا لأولي الألباب"[2].

كذلك عندما ضرب الله تعالى مثلاً للدنيا ونضارتها وبهجتها ثم فنائها بالماء النازل من السماء، والذي به ينبت الزرع المختلف ألوانه، ثم يجعله حطاماً، ذكر أن في ذلك ذكرى لأولي الألباب، فهم الذين يتعظون بذلك، وينأون بأنفسهم عن الدنيا وشهواتها.

قال الحافظ ابن كثير:

"ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ" أي: ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعا "مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ" أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، "ثُمَّ يَهِيجُ" أي: بعد نضارته وشبابه يكتهل "فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا"، قد خالطه اليبس، "ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا" أي: ثم يعود يابسا يتحطم، "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، والشاب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا، وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير"[3].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

(٢) مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٦١.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٠.

المبحث الرابع

جزاء أولي الألباب السعداء

أولو الألباب لما اتصفوا بتلك الصفات العظيمة والمزايا الحميدة كان لهم الجزاء الأوفى عند بارئهم ، والمنقلب الحسن في الدار الآخرة حيث النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول .

حيث أخبر – سبحانه وتعالى – بأن من اتصف بتلك الصفات الحميدة لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

"أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"[1].

قال صاحب التفسير المنير

"وبعد أن وصف الله المؤمنين العقلاء بتلك الصفات الحميدة ذكر جزاءهم بقوله: "أولئك لهم عقبى الدار"[2] أي: أولئك الموصوف بما ذكر لهم العقبى الحسنة والسعادة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهو النصر على الأعداء، وأما الآخرة فهو الجنة، ثم أوضح هذه العقبى

---

(١) سورة الرعد الآية: ١٩-٢٤.

(٢) سورة الرعد الآية: ٢٢.

فقال: "جنات عدن يدخلونها"[1] أي: تلك العقبى هي الجنات التي يقيمون فيها إقامة دائمة"[2].

والعاقبة أي الآخرة، إنما هي لأولي الألباب وهي نعم العقبى والعاقبة هي الجنة والعاقبة للمتقين.

قال الإمام القرطبي:

"أولئك لهم عقبى الدار" أي: عاقبة الآخرة، وهي الجنة بدل النار، فالدار غدا داران: الجنة للمطيع، والنار للعاصي، فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة. وقيل: عني بالدار دار الدنيا، أي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا.

قوله تعالى: "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب"[3] أي بالتحف والهدايا من عند الله تكرمة لهم.

"سلام عليكم"[4] أي يقولون: سلام عليكم، فأضمر القول، أي قد سلمتم من الآفات والمحن. وقيل: هو دعاء لهم بدوام السلامة، وإن كانوا سالمين، أي سلمكم الله، فهو خبر معناه الدعاء، ويتضمن الاعتراف بالعبودية.

"فنعم عقبى الدار"[5] أي: نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها، عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه"[6].

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٣.

(٢) التفسير المنير ج ١٣ ص ١٥٥.

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٣.

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٤.

(٥) سورة الرعد الآية: ٢٤.

(٦) تفسير القرطبي ج ٩ ص ٣٢١.

وقال الأستاذ سيد قطب – رحمه الله تعالى –:

"أولئك" في مقامهم العالي لهم عقبى الدار: جنات عدن للإقامة والقرار. في هذه الجنات يأتلف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. وهؤلاء يدخلون الجنة بصلاحهم واستحقاقهم، ولكنهم يكرمون بتجمع شتاتهم، وتلاقي أحبابهم، وهي لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان، وفي جو التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم، في حركة رائحة غادية: "يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"[1]. فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام"[2].

كما أن هناك جزاء لهؤلاء المؤمنين العقلاء وهو البشرى الصادرة إليهم من الملأ الأعلى والرسول صلى الله عليه وسلم يبلغها لهم بأمر الله: "فبشر عباد" إنها البشرى العلوية يحملها إليهم رسول كريم وهذا وحده نعيم.

نسأل الله – جلت حكمته – أن يجعلنا من أولي الألباب وأن يجزينا مثل جزائهم إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

---

(١) سورة الرعد الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) في ظلال القرآن ج ١٣ ص ١٥٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد:

ففي ختام هذا البحث ، وبعد أن عشت فترة من الزمن بين مباحثه ومطالبه ، وقبل أن أغادر هذه الصفحات ، أجد لزاماً علي أن أدون أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم التوصيات التي أوصي بها حتى تكتمل فائدة هذا البحث وتينع ثمرته .

أما نتائج فأهمها ما يلي :

١- القرآن الكريم عني أشد العناية بالحديث عن أولي الألباب، حيث ذكرهم في ستة عشر موضعاً .

٢- تباينت أقوال المفسرين في المراد بأولي الألباب في القرآن الكريم وكلها تدور حول معنى واحد، أو معان متقاربة، فإما أن يراد بهم أولو العقول أو العقول السليمة أو العقول الصحيحة أو أولو الإدراك الصحيح أو أصحاب العقول الخالصة أو الأفهام المستقيمة.

٣- لأولي الألباب صفات حميدة وكثيرة، ذكرها القرآن الكريم ليأتسي بها الآخرون .

٤- أنعم المولى – تبارك وتعالى – على أولي الألباب جزاء ما تحلوا به من الصفات الحميدة بالنعيم المقيم في جنات عدن في الدار الآخرة .

٥- احتفى القرآن الكريم احتفاءً شديداً بأولي الألباب ، مدحاً وثناءً وإشادةً .

٦- أولو الألباب هم الذين يتذكرون ويتنبهون.

٧- أولو الألباب هم الذين يعتبرون بالتاريخ وقصص الماضين، فيأخذون العبرة والعظة مما حل بالأمم السابقة .

٨- وهم الذين يدركون حكمة الله تعالى في خلقه.

٩- وهم الذين يعرفون ويعلمون قيمة العقل والعلم.

١٠- أولو الألباب لهم أدعية يدعون الله تعالى بها، وقد ذكرها القرآن الكريم في سورة آل عمران.

١١- أولو الألباب هم الذين يقنعون بالحلال القليل ويكتفون به.

١٢- القليل الحلال خير من الكثير الحرام الضار، ولا يعقل هذا إلا أولو الألباب.

١٣- أولو الألباب،تعقلوا الأمور كلها، وأعظم أمر يجب أن تعقلوه هو الدنيا، فحالها كحال الزرع في سرعة التصرم، وقرب التقضي، وذهاب بهجتها، وزوال رونقها، ونضارتها، فلا تغتر ببهجتها، ولا تفتتن بفتنتها.

١٤- نادى المولى – تبارك وتعالى – أولي الألباب في آية القصاص، وفي ذلك تنبيه على التأمل في حكمة القصاص، ولذلك جيء في التعريف بطريق الإضافة الدالة على أنهم من أهل العقول الكاملة، لأن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النظر الصحيح.

١٥- أثنى الله – سبحانه وتعالى – على الراسخين في العلم، ومدحهم، لأنهم من أرباب العقول الصائبة، والأفهام المستقيمة، والأذواق السليمة.

١٦- في آية: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" تعريض بأن الذين لم يذكروا بالقرآن ليسوا من أهل

العقول، وأن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا.

١٧- أولو الألباب هم من يخلصون الأعمال إلى الله تعالى وذلك بأداء ما أوجبه عليهم، واجتناب ما حرمه عليهم.

- **التوصيات :**

يوصي الباحث في نهاية هذا البحث بما يلي :

١- الدعوة إلى معرفة حقيقة أولي الألباب الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم ، وذلك من خلال الإطلاع على تفاسير الآيات التي ورد فيها ذكرهم .

٢- ينبغي التعرف على الصفات الحميدة التي تحلى بها أولو الألباب ، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، حتى نسير على دربهم ، ونكون في زمرتهم .

٣- ينبغي التعرف على الأسباب التي دعت إلى احتفاء القرآن الكريم بأولي الألباب والإشادة بهم في مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، لعلنا نفوز معهم بهذا الإحتفاء ، وأعظم به من فوز .

٤- النعيم المقيم الذي أعده الله – جل وعلا – لأولي الألباب ينبغي أن يكون حافزاً لنا إلى الاقتداء بهم ، سائلين الرحمن الرحيم – سبحانه – أن يشملنا بما شملهم به .

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المراجع

- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون .
- تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم :المسمى بالسراج المنير : للخطيب الشربيني ، دار المعرفة ، ط٢،.
- التفسير الشامل للقرآن الكريم : د. الأمير عبدالعزيز ، دار السلام ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .
- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١)، دار الحديث ، القاهرة، ط ٢ ، ١٤١٦هـ .

- الجديد في تفسير القرآن المجيد : الشيخ محمد السبزاوي ، دار التعارف ، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ .
- حاشية الجمل على الجلالين : ط عيسى البابي الحلبي .
- صحيح البخاري مع فتح الباري : ط دار المعرفة .
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١)، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- فتح القدير الجامع بين فني والدراية في التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ .
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ.
- كنز العمال : للمتقي الهندي ، ط مؤسسة الرسالة .
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
- مختار الصحاح : دار نهضة مصر .
- المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١)ن مؤسسة قرطبة، مصر.
- المصباح المنير : للفيومي ، ط دار المعارف .
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ) دار المعرفة، لبنان، محمد سيد كيلاني.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	١
تمهيد.	٥
المبحث الأول :المراد بأولي الألباب.	٧
المطلب الأول: المراد بأولي الألباب في القرآن الكريم.	٧
المطلب الثاني: أصل اللب والاختلاف في الباب.	١١
المطلب الثالث: الفرق بين اللب ومرادفاته.	١٢
المبحث الثاني: الصفات الحميدة لأولي الألباب السعداء.	١٤
١- ذكرهم الله تعالى في جميع أحوالهم ومقاماتهم.	١٤
٢- تفكرهم في خلق السموات والأرض.	١٥
٣- الوفاء بعهد الله تعالى.	١٧
٤- عدم نقض الميثاق.	١٨
٥- صلة الرحم ورعاية جميع الحقوق الواجبة لله والعباد.	٢٠
٦- الخوف من الله تعالى وخشيته.	٢٢
٧- الخوف من العذاب والحذر من سوء الحساب في الدار الآخر.	٢٣
٨- الصبر ابتغاء وجه الله تعالى.	٢٤
٩- إقامة الصلاة.	٢٦
١٠- الانفاق في جميع وجوه البر والخير.	٢٧
١١- مقابلة السيئة بالإحسان.	٢٨

١٢- استماعهم القول واتباعهم أحسنه.	٣٠
المبحث الثالث: احتفاء القرآن الكريم بأولي الألباب.	٣١
المطلب الأول: الحكم المنطوية في تخصيص أولي الألباب بالذكر.	٣١
المطلب الثاني: أولو الألباب ومبدأ القصاص.	٣٣
المطلب الثالث: أولو الألباب والتزود بخير الزاد.	٣٤
المطلب الرابع: ألو الألباب وإيتاء الحكمة.	٣٥
المطلب الخامس: أولو الألباب ورسوخهم في العلم.	٣٦
المطلب السادس: أولو الألباب ودعاؤهم وتبتلهم إلى الله تعالى.	٣٨
المطلب السابع: موقف أولي الألباب من الطيب والخبيث.	٤٠
المطلب الثامن: أولو الألباب واعتبارهم بالتاريخ.	٤١
المطلب التاسع: أولو الألباب هم من يعرفون قيمة العلم والعقل.	٤٥
المطلب العاشر: إدراك التفاوت بين العلماء والجهال.	٤٨
المطلب الحادي عشر: أولو الألباب هم الذين يتذكرون وينتهون.	٤٩
المبحث الرابع: جزاء أولي الألباب السعداء.	٥٠
الخاتمة.	٥٣
الفهارس	٥٦